المصاهرات السياسية في بلاد الرافدين وانعكاساتها على البلدان الخارجية في ضوء النصوص المسمارية للفترة (١٦٠٠-٩١١ ق.م)

م. م. وصال فيصل حمادي الدليمي
جامعة الموصل- كلية الآثار

م. د. هيفاء أحمد عبد محمد النعيمي
جامعة الموصل- كلية الآثار

ملخص البحث

تعد المصاهرات السياسية عبر العصور أحدى الوسائل الدبلوماسية التي اتبعها حكام وملوك العراق القديم على ممالك ودويلات داخل وخارج العراق وذلك لكسب ود أطراف عديدة إلى جانبهم وتغيير مواقفهم لدرء الخطر عنهم وتجنب الأعمال الحربية التي قد تتعرض لها البلاد.

وكانت المصاهرات ناجحة لبعض الوقت إلا أنها لم تستمر طويلا بل ان بعضها باء بالفشل بحيث ينقلب الطرفان إلى حالة عداء شديد بدلا من التهدئة والمصالحة المتوخاة منها، وجاءت هذه الدراسة للتعرف على مدى أهمية المصاهرات ولتسليط الضوء على المصاهرات بين الممالك.

Political Affinities in Mesopotamia and Their Reflections on the Outer Countries in the Light of Cuneiform Texts for the Period (1600-911 B.C)

Haifa Ahmed Abd Mohammed Al-Nyamy
Wesal Faysal Hamade Al-Dulaime

University of Mosul- College of Archaeology

Abstract

The political affinities were over ages one of the diplomatic means which the kings and rulers of Ancient Iraq has followed on the kingdoms and states inside and outside Iraq for getting the friendliness of many parts to their side and changing their attitudes for turning the danger away of them and avoiding the war actions that the countries might face.

The affinities were successful for sometimes but it never lasts long, yet most of them unsuccessful where the two sides changed into a severe hostility instead of pacification or reconciliation taken from affinities. The study came to recognize the importance extent of affinities and shedding light on the affinities between the Iraqi kingdoms and other ones.

المقدمة:

لم تكن الحضارة العراقية القديمة حضارة محلية مقصورة داخل حدود العراق، بل امتدت إلى ممالك وأقاليم قريبة وبعيدة من خلال وسائل متعددة منها العلاقات السياسية، إلا ان المصاهرات لم تكن واحدة من وسائل انتقال الحضارة العراقية بسبب محدوديتها وعدم نجاحها في كثير من الحالات، كما أثبتت الوقائع التاريخية من خلال الحوليات الملكية بشكل رئيسي.

تبدأ الإشارات عموما في الألف الثالث قبل الميلاد وتحديداً من عصر مملكة أور الثالثة كإشارة أولى للمصاهرات السياسية وربما كانت هناك مصاهرات قبل هذه الفترة بحكم طبيعة علاقة العراق مع دول الجوار إلا انه لم يتوفر بين أيدينا دليل مادي في الوقت الحاضر، ومن ثم أصبحت المعلومات أكثر وضوحاً في العصور اللاحقة وأفصحت عن العديد من المعلومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومدى تأثيرها على البلدان المجاورة لاسيما في العصر البابلي الوسيط ، كما كانت المصاهرات نوع من العلاج لتخفيف وطأة الخلافات بين بعض الدول وقائمة علاقات ودية وان كان بعضها لمدة وجيزة ، ويمكن توضيح كل ذلك من خلال المعلومات المنصوص عليها في هذا البحث.

المصاهرة لغة واصطلاحاً :

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا**﴾ (١) أي جعل من جنس البشر ذوي نسب ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صهر إناثاً يصاهر بهن، كقوله تعالى ﴿**فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**﴾ (٢).

والصهر: يطلق على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم كالأبوين والأخوة وأولادهم والأعمام والأخوال... فهؤلاء أصهار زوج المرأة(٣).

فالنسب: وهو الأقرب من المصاهرة، فلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أو قريبه أما الصهر قرابة الزواج وهم أهل بيت المرأة(٤).

تأتي معلوماتنا في هذا الجانب من مجموعة من الرسائل الملكية التي عثر عليها في موقع العمارنة في مصر(٥)، وتكشف هذه الرسائل عن حجم العلاقات السياسية والاجتماعية التي سادت في تلك المرحلة عموماً بسبب قلة العمليات العسكرية وسيادة ما يسمى بالمصطلح الحديث بالدبلوماسية وهذه الرسائل تبدأ عادة بالسؤال عن الصحة والأحوال والدعاء للأهل والزوجات في مخاطباتهم، كما أنها كانت تستخدم كلمة "أخ" بين المرسل والمرسل إليه للدلالة على أنهم كانوا في مخاطباتهم كأسرة واحدة نَعِمَ بها الشرق الأدنى قرناً من الزمان(٦).

وكانت هذه الرسائل أشبه بمصدر لديمومة تلك العلاقات ويعد إرسالها والتواصل بها أمراً يدعو إلى الاطمئنان والمحبة.

وإذا ما حصل غير ذلك سوف تظهر عبارات عتابٍ بين الطرفين بسبب انقطاع أخبار كل منهما عن الآخر.

ولقد أفرزت رسائل العمارنة كثيراً من المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تنم عن علاقات وطيدة ربطت ممالك مصر القديمة مع ممالك بلاد الرافدين وعلى فترات طويلة إذ نقرأ في رسالة من امنحوتب الثالث ملك مصر يبعث بها إلى كاداشمان – خاربي(٧) ملك بلاد بابل (كاردنياش) يسأل فيها عن حالهِ وحال بلادهِ، إذ نقرأ ذلك في النص الآتي:

"[um - ma ^{I}ni - ib - mu - a - ri] - i [a . šarru rabu]

[šar ^{matu}mi - iš - ri - i a - na^{I}]

ka [-da - aš - ma - an - ḫarbe]

šarri . rabi šar ^{matu}ka - ra ^{ilu}du -]

ni - ia - [aš aḫi - ia]

qi - bi - ma a - na

maḫ - ri - i]a šul - mu a[na maḫ - ri - ka]

[lu - u šul - mu a - na bitati - k]a

aššati [- ka]

mare - ka ^{amelutu}rabuti - k]a sabe - k[a]

[šiše - k]a ^{isu}[nar kabati -]ka

u i - n[a libbi^{bi}]

matati - ka lu - u - su] I *- mu*

a - na ia - a - si šul - mu

a - na bitati ^{a} - ia aššat [i - ia]

mare - ia amel ^{utu}rabuti ^{b}- ia

sabe - ia ma - a - ad

sise - ia -^{isu}narkabati - ia

u . i - na libbi b[i]

matati - ia dannis dannis

lu - u sul - mu (8) "

"[لذلك تحدّث نيمور] ي [، الملك العظيم ،]

[ملك مصر ، إلى] كا [داشمان – خاربي ،]

[الملك العظيم ، ملك كارادو] نيا [ش ، أخي]

[قائلاً : أنا بخير (وعافية) . انتَ]

[لِتكنْ بخير وعافية ! [قَصورك ، زوجات] ك ،

[أطفالك ، [عظمتك ، محاربو [ك] ،

[خيلك] ، [عربت] ك و [ووسط]

[بلادك لتكن في [هناء] ورخاء !

[أنا] بخير وعافية . قصوري ، زوجات [ي] ،

[أطفالي ،] عظمتي ، محاربوي [قليلاً ،]

خيل [ي] ، عربتي ووسط

[بلادي حقاً بدرجة عالية ، عالية من الرخاء والهناء]"

تشير رسالة الملك امنحوتب الثالث إلى عمق العلاقات المصرية مع كاداشمان – خاربي ملك بلاد بابل (كاردنياش) من خلال التحية والسلام فضلاً عن الأمنيات التي تقدم بها للطرف الآخر ولقصوره وزوجاته وأولاده وأفراد جيشه وقواته جميعاً من جهة وسؤاله عن أخبار صديقه ملك بلاد بابل وعن حاله من جهة أخرى.

مصاهرات بلاد بابل السياسية:

كما أكد المرسل مكانة ملك بلاد بابل من خلال تسميته ومناداته بمصطلح أخي دليلاً على أن الطرف الثاني قد تساوى بالمركز نفسه والمكانة والنفوذ الذي يحظى به الطرف الاول.

إن المدة التي حكم فيها الكاشيون والواقعة بين (١٦٠٠ – ١٣٥٠ ق. م) كانت تمثل فترة سلام شبه دائم في بلاد بابل حيث كان الملوك الكاشيون يقفون موقف المتفرج[٩] على الصراعات الدائرة بين ممالك الشرق الأدنى القديم، مفضلين عدم الخوض في غمارها[١٠].

ويمكن التعرف على علاقة الكاشيين مع هذه القوى من خلال ما ورد ذكره في المراسلات الدبلوماسية لتلك الفترة، ويمكننا القول إن سياسة الملوك الكاشيين الخارجية تحولت من سياسة سلمية ملتزمة جانب الحياد إلى سياسة إقامة العلاقات الدبلوماسية منذ أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١١] تلك السياسة قائمة على أساس الود والصداقة وإقامة المصاهرات السياسية مع حكام وملوك ممالك الشرق الأدنى القديم[١٢].

فقد كان على الملوك الكاشيين باعتبارهم يمثلون إحدى القوتين الرئيستين في العراق إلى جانب الآشوريين، تأمين سلامة دولتهم ضد الآشوريين الذين أصبحوا قوة متنامية بعد أن تحرروا من السيطرة الميتانية وضد القوى الدولية الأخرى كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، لذلك اتجه الملوك الكاشيون لاقامة علاقات طيبة مع فراعنة مصر وبادروا بتزويج أميرات كشيات من الملوك المصريين لضمان استمرار تحالفهم معهم(١٣).

وهذا ما أكدت عليه الرسائل المتعلقة بالمصاهرات السياسية ومكانة الزوجة في البلاط الملكي المصري(١٤)، لكن المثير للانتباه أن الملوك المصريين كانوا يستحلون لأنفسهم الزواج من بنات ملوك حلفائهم، وفي الوقت نفسه كانوا يحرمون بناتهم على الأمراء الأجانب مهما عظم سلطانهم ومهما كانت مكانتهم والسبب في ذلك هو عدم اعتراف الملوك المصريين بشرعية حكم الكاشيين واصولهم مع العلم انهم كانوا محتلين(١٥)، ولقد كانت العادة المتبعة في عهد ملوك الأسرة الثامنة عشرة في مصر ولاسيما في فترة النصف الثاني من حكم فراعنتها أن يتزوج الفرعون بعد اعتلائه العرش من بنت أو أخت أحد الملوك العظام المصادقين له وذلك لتحقيق أهداف سياسية وتقوية العلاقات من خلال هذا الزواج. وهناك قوائم بالهدايا التي أرسلها فراعنة مصر إلى الملوك الكاشيين، والهدايا المرسلة بالمقابل إلى الفراعنة لان صيغة المصاهرة لهم لم تكن الطريقة الوحيدة التي استخدمها الكاشيون في توطيد علاقاتهم بفراعنة مصر، بل نجد انهم كانوا يرسلون الهدايا من الذهب الحلي والاحجار وغيرها من المواد الثمينة(١٦)، أما مكانة الأميرة الأجنبية في البلاط الملكي المصري فإنها لم تكن مساوية لمكانة الأميرة المصرية، وذلك لأن الأميرات المصريات كنَّ مقيدات في الزواج من الفراعنة فقط من أجل الحفاظ على نقاء الدم الملكي، وعلى هذا الأساس نجد أن أبناء الأميرات الأجنبيات لا يحق لهم أن يصبحوا فراعنة ويديروا البلاد وإن حدث ذلك في تاريخ مصر فانهُ يتم عن طريق اغتصاب العرش وليس حقاً شرعياً(١٧)، وربما تكون بعض الأميرات خليلات داخل البلاط الملكي طالما أن الهدف الأساس من وراء هذا الزواج هو تحقيق أهداف سياسية كما ذكرنا.

إن معظم الرسائل بين بابل ومصر كانت في عهد الملكين (كداشمان – خاربي، وبورنابورياش الثاني ١٣٧٥ – ١٣٤٧ ق. م)(١٨).

حيث كشفت لنا إحدى الرسائل التي عثر عليها في تل العمارنة عن مراسلة الفرعون المصري امنوفس الثالث (امنحوتب الثالث) للملك كداشمان – خاربي، معلنا

رغبته في الزواج من ابنة الملك الكشي، لكن الأخير رفض طلبه في بادئ الامر بحجة أن مصير أخته التي أرسلها أبوه إلى البلاط المصري مازال مجهولا[١٩] فأجابه بالرفض قائلا:

"aš - šum an - ni - ti - im - ma a - na aḫ - ḫu - ti u ta - bu - ti ... aš - pu - ra - ak - ku[20]"

"**بخصوص أختي تلك ومصيرها كتبت لك**"

وضح الملك الكشي انقطاع أخبار أخته التي سبق وان أعطيت بوصفها زوجة للملك المصري وعدم معرفة مصيرها وإذا ما كانت حياتها هانئة أم غير ذلك، مع العلم أن هنالك الكثير من الإشارات لإرسال رسل من الملك الكشي للتعرف على تلك الأميرة الكشية، ويبدو أنه قد تعذر على الرسل معرفة تلك الأميرة بين الكثير من النساء الملكيات وقد تعذر الملك المصري عن عدم تمييزها واظهارها من بين كل النساء [٢١].

ونفهم من الرسالة أيضاً أن مصير النساء اللواتي يتزوجن عن طريق المصاهرة السياسية يكون غامضاً عموماً لاسيما وأن هذا النوع من النساء قد لا يكون على قدر من الأهمية تمكنهم من أخذ مكانة محترمة عند الزوج الأجنبي، كما أن بعد المسافة بين مصر والعراق قد يحول دون تقصي المعلومات والأخبار عنها أو عن غيرها بين الحين والآخر.

ولقد أرسل الملوك الكاشيون أميرات كشيات إلى مصر للزواج من فراعنتها في عهد كل من أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع (أخناتون)، وتبادل هؤلاء الملوك الرسائل بهذا الخصوص[٢٢] ولم تتم الموافقة على هذا الزواج بسهولة فقد يكون الطرفان كلاهما راغب تماماً في هذه الزيجة لكن أياً منهما لم يظهر أدنى دلالة على نفاذ صبره، ولذلك يبدأ الصهر المنتظر بالرفض، ويتجدد الطلب بعد فترة مناسبة وتتناسب كثرة الرفض مع رفعة الغرض من التقارب وأهميته وأخيرا تصل إلى المفاوضات وتتم الموافقة وتغادر العروس إلى بلد زوجها وتصحبها حاشية كبيرة وتحمل معها الهدايا الثمينة[٢٣].

ونلاحظ في رسالة أخرى مطالبة الملك المصري امنحوتب الثالث بالزواج من سوخارتي[٢٤] ابنة الملك الكشي (كداشمان – خاربي) وقد تمت الموافقة أخيراً وتم إرسال الفتاة إلى الملك المصري إذ جاء في أسطر لاحقة ما يأتي:

"i - na - an - na sa* DUMU *- ti - ia sa u - se - bal - la - ak - ku ...[25] "

"الآن لأبنتي التي سابعثها لك ..."

وليس بالضرورة أن تختم العلاقات الودية كلها بزواج سياسي متبادل فالملك الكشي يبدو أنه قد طلب الزواج من ابنة الفرعون ومعاتباً إياه، ولكن الأخير رفض وقد تعذر قائلا الآتي:

***"a - nu - um - ma at - ta* ŠEŠ *- ia ki - i la na - da - ni - im - ma a - na* DUMU *- ti - ka a - na a - ḫa - zi ki - i taš - pu - ra - an - ni um - ma - a ul - tum pa - na* DUMU *- at* LUGAL *sa* ^{kur}*mi - is - ri - i a - na ma - am - ma ul in - na - ad - di - in*[26] "**

"**الآن (اذا) أنت أخي لماذا لم تعطِ ابنتك للزواج ؟ لذا كتبت لي الآتي ... لم يسبق ان اعطيت ابنة الملك المصري لأي شخص غريب**"[٢٧].

أشار الملك المصري في هذه الرسالة إلى أن الأميرات المصريات لم يتزوجن من خارج البلاد في حين وجدنا أن الفرعون المصري قد تزوج باميرة كشية بعد أن بعث فتاة مصرية كترضية للملك الكشي عن رفضه السابق، إذ جاء في النص الآتي:

"1 SAL *- ta ba - ni - ta ki - i sa* SA *- ka ma - an - nu i - qa - ab - bi um - ma - a ul* DUMU *- at* LUGAL *si - i si - i su - bi - la ...*[28] "

"**امرأة جميلة من التي يحبها قلبك من قال الآتي: لم (تكن) هي ابنة الملك، تلك (انا الذي) بعثت(ها)...**"

أوضح النص أن الملك الكشي كان قد طلب من الملك المصري يتسائل عن كون تلك الفتاة ملكية أم لا لذا فهذا الكلام يؤكد صحة قولنا في عدم اعتراف الملوك المصريين بالكاشيين وعدم شرعية حكمهم على بلاد الرافدين لذا لم يعطي أي ملك مصري ابنته للكاشيين.

مصاهرات بلاد اشور السياسية:

ولو انتقلنا الى بلاد آشور نجد ان الاقوام الميتانية كانت على صلات جيدة مع بلاد مصر القديمة إذ ان معلوماتنا عن دولة ميتاني وسيطرتها على بلاد آشور مستمدة بالدرجة الأولى من رسائل العمارنة، فمن خلال هذه الرسائل تعرفنا على السياسة الخارجية للميتانيين تجاه ما جاورهم من الممالك والقوى السياسية حيث اتصفت سياستهم بأنها قائمة على مبدأ السلم من خلال توطيد العلاقات باقامة الأحلاف والمصاهرات السياسية بالدرجة الأولى وبنحو خاص مع

مصر فكان من نتائج هذه العلاقات أن أثمرت لنا الكثير من المصاهرات السياسية التي تدلل على مدى عمق تلك العلاقات الوطيدة، ولم يحدث ما يكدر صفو العلاقات بين الطرفين بل على العكس ازدادت علاقات الود والمهادنة منذ عهد ارتاتاما (الأول)[٢٩] الذي سار على نهج والده في سياسته الخارجية فعمل على تعزيز العلاقة مع مصر وانتهج اسلوب المصاهرات عندما زوج ابنته إلى الفرعون المصري تحتمس الرابع (١٤١٣– ١٤٠٥ ق. م) وأقام حلفا معه[٣٠]، إذ يكتب ارتاتاما الميتاني إلى تحتمس الرابع عن زواج الأخير من ابنة الملك الميتاني إذ يقول:

"... ŠEŠ - ka - ma e - mi - ka sa i - ra - 'a mu - ka ...[31] **"**

"...**أخوك (و) حموك الذي يحبك**..."

أشار الملك الميتاني عن عمق العلاقة الأخوية التي أدت إلى تحول هذه العلاقة إلى مصاهرة سياسية مهمة ربطت بين بلاد الميتانيين ومصر.

خطى تحتمس الرابع خطوة جريئة في السياسة الخارجية وهي أنه تزوج من ابنة الملك الميتاني ارتاتاما وهي خطوة لها أكثر من مدلول إذ ان هذا الزواج الدبلوماسي يشير إلى اعتراف فرعون مصر بالميتانيين، وفي الوقت نفسه يعلن انهاء حالة الحرب بين مصر ومملكة ميتاني[٣٢].

وكان الملوك الميتانيون لا يجيبون بالرضا عن زواج بناتهم للملوك المصريين إلا بعد تردد شديد، وبعد ذلك تمت الموافقة بعد أن طلبها للمرة السابعة[٣٣]، وقيل إن اباها الملك ارتاتاما الاول جادله في أمرها عدة مرات رغبة في زيادة نصيبه من الهدايا قبل أن يزفها إليه[٣٤].

وبعد أن تم الزواج، وتلقبت الأميرة الميتانية باللقب المصري (موت – اوم – اويا *mutemuya*) ضمن تحتمس الرابع أحد أقطاب القوى في المنطقة وصار بامكانه رد الخطر الحثي[٣٥].

ومع مجيء الأميرة الميتانية ابنة ارتاتاما الاول رفرف البهاء والأبهة والعظمة في مصر بجانب وصول بعض القيم الدينية والأفكار الروحية التي جلبتها معها[٣٦].

أما في عهد (امنحوتب الثالث) (١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق. م) فقد وجدت بعض النصوص[٣٧] التي خلدت زواجه من (جيلو – خيبا) ابنة الملك الميتاني توشراتا إذ نراه يسجل:

"في السنة العاشرة تحت حكم جلالة ابن رع امينوفس حاكم طيبة الممنوح الحياة والزوجة العظمى للملك ... تي ... التي تعيش ... أحضرت لجلالته ثروات ... جيلو – خيبا ابنة سيد نهرين(*) شوترنا وسيدات حريمها البالغ عددهم ٣١٧ سيدة ..."

وتزوج امنحوتب الثالث من جيلوخيبا في السنة العاشرة من حكمه عام (١٣٩٥ ق.م)، بعد أن طلبها ست مرات وكان هذا الزواج موضع فخر حتى أنه سجله بطريقة مبتكرة، إذ نقش هذا الحادث المدهش على حجر كبير الحجم ونسخ منه صورا عدة، وكان فخورا بهذا الزواج الخارج عن تقاليد البيت المالك(٣٨).

وتشير الرسائل إلى أن الزوجة الميتانية كانت تعامل معاملة طيبة إذ يكتب توشراتا إلى الملك المصري سائلا عن حاله وحال اخته إذ يقول الآتي:

"a - na ^{I}***ni - ib - mu - a - ri - ia*** **LUGAL** ^{URU}***mi - is - ri - i ... lu - u sul - mu a - na*** ^{SAL}***gi - lu - he - pa a - ha - ti - ia lu - u sul - mu a - na*** **E -** ***ka...***(39) **"**

"الى نيب – موريا (امنحوتب الثالث) ملك بلاد مصر ... عسى أن يكون (بـ)خير إلى اختي جيلو – خيبا عسى ان يعم السلام في بيتك"

يبين المرسل أنه على علاقة حسنة مع صهره فضلاً عن ذلك فقد تمنى له ولاخته ولقصره السلامة ويكمل في أسطر لاحقة أنه قد أهدى لاخته قلادة ذهبية ومجموعة من الحلي إذ نقرا ذلك في الأسطر الآتية:

"a - na sul - ma - ni sa ^{SAL}***gi - lu - he - pa a - ḫa - ti - ia 1 nu - tum tu - ti - na - tum KU . GI 1 nu - tum an - sa - ba - tum*** **KU . GI** ***1 ma - as - hu*** **KU . GI** ***u 1*** ^{NA4}***ta - ba - tum ša*** **I . GIŠ DUG . GA** ***ma - lu - u ul - te - bi - la - aš - š i*** (40) **"**

"كهدية (كسلام) لجيلوخيبا اختي، فإني، قد أرسلت لها واحد نوتم حلي للصدر من الذهب، واحد نوتم قلادة (من) الذهب، واحد ماشخو(*) (من) الذهب وعلبة حجرية واحدة مملوءة بالزيت الجيد"

أشار توشراتا إلى الهدايا الثمينة التي بعث بها لاخته كنوع من الاحترام والتقدير لها فضلا عن بيان مكانتها لديه.

في حين نقرأ في رسالة ثانية من توشراتا إلى (امنحوتب الثالث) يبين فيها أنه قد زوج ابنته (تادوخيبا)[٤١] له في السنوات الأخيرة من حكمه مع العلم أنه قد زوج اخته مسبقا له وهذا دليل على عمق تلك العلاقات، إذ نقرأ ذلك في نص الرسالة الآتية:

***"a- na I ni - im - mu - ri - ia* LUGAL GAL LUGAL *URU mi - iš - ri - i a - hi - ia ... qi - bi - ma um - ma I du - us - ra - ta* LUGAL GAL LUGAL *URU mi - ta - an - ni* ŠEŠ *- ka e - mu - ka ... lu - u sul - mu sa* ŠEŠ *- ia sa a - ra - am - mu - us assat - zu marti at - ta - an - na - as - su d šamas u ištar a - na pa - ni - sa li - il - lik...*[42] "**

"قل إلى أخي نيب – موريا الملك العظيم ملك بلاد مصر (يقول) دوش – راتا الملك العظيم ملك بلاد ميتاني أخوك (و) حموك ... عسى أن يكون أخي الذي أحبه سالما وقد أعطيته ابنتي زوجة له ليتقدم (ليذهب) أمامها الاله شمش والاله عشتار..."

توضح الرسالة أن العلاقات الميتانية المصرية كانت في أوج عظمتها خلال مدة حكم توشراتا وامنحوتب الثالث بحيث أعطى الأول اخته ومن ثم ابنته كزوجات لملك مصر وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق وأصالة تلك العلاقات الحميمة.

وهكذا أصبحت المملكة الميتانية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد مهددة لأنها كانت محصورة بين قوسين كبيرين هما الامبراطورية الحثية والمصرية.

فالتجأت إلى محالفة مصر لصد اطماع الحثيين وكان من مصلحة فراعنة مصر عقد معاهدة ثابتة مع ميتاني[٤٣].

ثم عززت تلك العلاقات السياسية بالمصاهرة بين الطرفين وهكذا تزوج أمنحوتب الرابع (اخناتون) من تادوخيبا من بعد وفاة والده فأبقى على رباط الصهر والنسب بين الطرفين، وهكذا سار أمنحوتب الرابع (اخناتون) على نمط أبيه في اتباع سياسة السلم.

وكان للرسل دور كبير في اتمام المصاهرات السياسية كلها فضلا عن ذلك كانوا يجلبون الهدايا الملكية ومرافقة الأميرات التي تم تزويجهن من مملكة إلى مملكة أخرى وتشير إحدى رسائل العمارنة عن رسول كشي يدعى (خا – ئى) جلب عربات محملة بالهدايا ونقرأ ذلك في النص الآتي:

***"i - li - qa - ak - ku - us - si it - ti I ha - a - a 5 GIS nar kabtu i - na 5 GIS nar kabti i - li - ku - ni - iku - us - si...*[44] "**

"**يأخذوها مع خا – ئي، خمس مركبات (عربات) من اصل خمس عربات يأخذوها (ينقلون)**"

أكد المرسل أن للرسل دوراً بارزاً في مرافقة المواكب الملكية وخصوصا عربات النقل المخصصة لنقل الهدايا المرافقة لموكب العروس والمرسلة من أهل الأميرة إلى بيتها الملكي الجديد.

في حين تبين إحدى رسائل العمارنة أيضا أن الرسل الميتانيين كان لهم الدور نفسه في نقل الأخبار والمفاوضات مع الطرف الآخر، إذ يذكّر توشراتا الملك المصري بإرسال سفير يدعى (جيليا *Gilia*)[٤٥] مع مساعده ويطلب من الملك المصري أن يعيدهم بسرعة ونقرأ هذا في النص الآتي:

"a - nu - um - ma [I]gi - li - ia [lu]sukal - li u [I]tum - ni - ip - ib - ri al - ta - par - su - nu ... ŠEŠ - ia ha - mu - ut - ta li - me - es - ser - su - nu - ma[46] "

"**الان جيليا (و) مساعده توم – نيبري أبعثهم، عسى ان يخلي اخي سبيلهم بسرعة**"

يبدو أن الملك الميتاني أراد أن يناقش الملك المصري سفيره ومبعوثيه عن أمرهم ويرسلهم بسرعة كي يعرف الرد.

الاستنتاجات

١. عرف عن ملوك العراق القديم بنحو عام إتباعهم سياسة المصاهرات السياسية كركيزة لهم في سياساتهم الخارجية لضمان ولاء الاقاليم التابعة لبلاد الرافدين وتحقيق المصالح التجارية والاقتصادية والاستراتيجية فضلا عن توازن الكيانات السياسية كما حصل مع الكاشيين والمصريين والاشوريين وغيرهم.

٢. دور الرسل البارز في اتمام المصاهرات السياسية كنقل الهدايا الملكية ومرافقة الأميرات اللاتي تم تزويجهن من مملكة إلى اخرى كما حدث في رسائل تل العمارنة، إذ جلب رسول الكاشيين المدعو خا–بَي عربات محملة بالهدايا من الذهب والحلي والاحجار الكريمة من أجل اتمام مراسيم الزواج.

٣. المصاهرات عموما كانت تحدث في حالة الحرب والسلم في الاولى كان الهدف منها تأمين سلامة البلاد من الاعتداءات الخارجية وتحقيق المصالح من الطرف المعادي واما الحالة الثانية فتهدف لتحقيق اواصر الصداقة مع البلدان المجاورة وكسب ودها.

٤. وقد تكون بعض النساء ضحايا في بعض المصاهرات السياسية كما حدث لأخت الملك الكاشي التي اعطيت كزوجة للملك المصري فلم يعرف مصيرها بعد زواجها. وقد يكون لبعض المصاهرات اكثر مدلولاً كما حصل في اعتراف مصر بالميتانين من خلال المصاهرة وفي الوقت نفسه انهاء حالة الحرب بين الطرفين.

٥. ارتباط المصاهرات ارتباطا وثيقاً بالعادات والتقاليد وربما نقلت بعض القيم الدينية من خلالها كما حصل بزواج الاميرة الميتانية ابنة ارتاتاما الاول التي جلبت معها إلى مصر العديد من العادات والتقاليد.

٦. لم تكن جميع النساء متساويات في المكانة الاجتماعية إذ ان مكانة الاميرة الاجنبية في البلاط الملكي المصري لم تكن متساوية لمكانة الأميرة المصرية ولهذا نجد ان الاميرات المصريات كن مقيدات بالزواج من الفراعنة فقط من اجل الحفاظ على الدم الملكي والوصول إلى العرش.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٤.

(٢) سورة القيامة، الآية ٣٩.

(٣) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد، التعريفات، بغداد، (د. ت)، ص٧٧.

(٤) للمزيد ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٦٣٠ هـ – ٧١١ هـ، لسان العرب، ج٥، القاهرة، (د.ت)، ص١٤١ – ١٤٢.

(٥) رسائل العارنة: يقع تل العمارنة وهي (اخيت – آتن) على الضفة الشرقية من نهر النيل، الى الجنوب من القاهرة بحوالي ٣٠٠ كم اكتشفت فيها نصوص مسمارية من العصر البابلي الوسيط عددها ٣٦٧ نصا، وهي رسائل متبادلة بين حكام وملوك الممالك الآشورية والكشية والحثية والميتانية إلى ملوك مصر، وتوضح لنا هذه الرسائل طبيعة العلاقات الدولية بين اقطار الشرق الأدنى القديم. ينظر: نائل، حنون، حقيقة السومريين، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٠١. كذلك ينظر: ابراهيم، جابر خليل، العلاقات بين العراق ومصر في العصور التاريخية، مجلة دراسات تاريخية، بغداد، ١٩٩٩، ص٦.

(٦) تشير كلمة (أخي) في المراسلات الدبلوماسية إلى العلاقة بين حاكمين في منزلة واحدة، بينما لم يستطع التابع مراسلة سيده باستعمال هذا المصطلح الدبلوماسي بل يستعمل بدلها عبارات الخضوع والولاء نحو (عبدك) و (خادمك). حول ذلك ينظر:
Drower, M. S., "Syria C. 1550 - 1400 B. C." CAH, Vol. 2, Cambridge, 1973, P. 483.
كذلك ينظر: فرحان، وليد محمد صالح، "الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد"، مجلة آداب الرافدين، العدد ١١، ١٩٧٩، ص٢٢٧.

(٧) كداشمان– خاربي: يظهر في قوائم الملوك الكاشيين من دون مدة حكم معروفة، لكنه على الأرجح كان قد عاصر الملك المصري امنوفس الثالث (١٤٠٥–١٣٦٧ ق. م) وبذلك يكون الملك المقصود بهذه المصاهرة هو كداشمان خاربي الأول. ينظر: ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٦٠٦.

(8) Knudtzon, J.A., EL-Amayna-Tafeln Letter, EA, Vol. 1, Leipzig, 1915, P. 74 ff.

(٩) فالملوك الكشيون كانوا ضعفاء ولعل ذلك ما جعلهم يلتزمون جانب الحياد من جهة ويركنون إلى صداقة الملوك الفراعنة على الدوام تقريبا. ينظر: باقر، طه، علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى القديم، سومر، مج٤، ١٩٤٨، ص٩٣.

(١٠) عن نتائج هذا الصراع ينظر: الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص١٦٧.

(١١) فرحان، وليد محمد صالح، "الصراع الدولي..."، مصدر سابق، ص٢٢٩.

(١٢) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج١، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٨٦. كذلك ينظر: الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي، مصدر سابق، ص١٦٩.

(١٣) الدليمي، محمد صبحي عبد الله، العلاقات العراقية – المصرية في العصور القديمة، بغداد، ١٩٩٠، ص٩٩. كذلك ينظر:

باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٨٦، ص٤٥١.

(١٤) فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣، ص٨٣.

(15) Schulman, R. A., "Diplomatic Marrig in Egypt New King dom", JNES, Vol. 8, 1977, P. 183.

(16) EA, Vol. 1, Letter, 13, 15, 16, P. 100-124.

(١٧) الشمري، طالب منعم، الوضع السياسي...، مصدر سابق، ص١٤٨.

(18) Marc, M. A history of the Ancient Near East C. 3000 - 323 B. C. British,, 2004, P. 164.

كذلك ينظر: الأمين، محمود، "الكاشيون"، في مجلة كلية الآداب، بغداد، ١٦، ١٩٦٣، ص٤ – ١٩.

(19) Rowton, M. B. Op. Cit, P. 207.

(20) EA, Vol. 1, Letter. 4, P. 72.

كذلك ينظر: الزيباري، أكرم، العلاقات بين اقطار الشرق الأدنى القديم، مجلة كلية الاداب، العدد ٢٨، ١٩٨٠، ص١٣٩.

(21) Bezold, Dr. C, The TELL - ELL Amarna tablets in British Meseum, London, 1892, P. 25 - 30.

كذلك ينظر: الدليمي، العلاقات العراقية – المصرية، مصدر سابق، ص١٠٤ – ١٠٥.

(٢٢) الزيباري، محمد صالح، النظام الملكي في العراق القديم، دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص٧٤. كذلك ينظر:

Bezold, Op. Cit, P. 25 - 30.

(٢٣) كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة، سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط٢، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٤٥ – ٢٤٦.

(24) Bezold, Dr. C, Op. Cit, P. 26.

(25) EA, Vol. 1, Letter. 4, P. 72, 74.

(26) Ibid, P. 74.

كذلك ينظر:

Holmes, L. Y., "The Messengers of The Amarna Letters" JAOS, Vol. 95, 1975, P. 377; Bezold, Op. Cit, P. 29.

(٢٧) اديب، سمير، تاريخ حضارة مصر القديمة، مصر، ١٩٩٧، ص١٧٧.

(28) EA, Vol. 1,, Letter. 4, P. 74.

كذلك ينظر:

Westbrook, R., "Babylonian Diplomacy in the Amarna Letters", JAOS, Vol. 120, 2000, P. 380.

شكري، محمد انور، حضارة مصر القديمة، حضارة مصر والشرق القديم، مجموعة من الباحثين المصريين، مصر، (د. ت)، ص١٠٢.

(٢٩) الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي، مصدر سابق، ص٢٥٦.

(٣٠) زايد، عبد الحميد زايد، مصر الخالدة مقدمة في تاريخ مصر القديمة الفرعونية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٥٧٨.

(31) EA, Vol. 1, Letter. 29, P. 246.

(٣٢) أديب، تاريخ حضارة مصر...، مصدر سابق، ص١٧٢. كذلك ينظر:

الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي، مصدر سابق، ٢٥٦.

(٣٣) جاردنر، الن، مصر الفراعنة، اكسفورد، ١٩٦١، ترجمة: نجيب ميخائيل، عبد المنعم بكر، ١٩٨٣، ص٢٣٢ – ٢٣٣.

(٣٤) صالح، عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى...، مصدر سابق، ص٢١٦.

(٣٥) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج٢، مصدر سابق، ص٥٤.

(٣٦) الأحمد، سامي سعيد، جمال، احمد رشيد، تاريخ الشرق القديم، بغداد، ١٩٨٥، ص١٥٤. كذلك ينظر:

الحسيني، عباس علي، "الزواج السياسي في العراق القديم"، مجلة جامعة القادسية، القادسية، العدد٢، ٢٠٠٢.

(٣٧) ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج٢، القاهرة، ١٩٦٣، ص٥٩. كذلك ينظر:

كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٤٦.

(*) كانت بلاد ميتاني تعرف لدى المصريين والكنعانيين باسم نهاريما Naharina Ma. ينظر:

الزيباري، أكرم، العلاقات بين اقطار الشرق...، مصدر سابق، ص١٣٤.

(38) Schulman, R. A., Diplomatic Marrige..., Op. Cit, P. 183.

(39) EA, Vol. 1, Letter. 17, P. 134.

(40) Ibid, P. 134.

(*) ماشخو: الشيء اللامع او المضيء. ينظر:

Black, J. & Others, A Concise Dictionar of Akkadian, CDA, (SANTAG5) 1999, P. 201: a.

(41) Manchip, J., E., Ancient Egypt, London, 1970, P. 169.

(42) EA, Vol. 1, Letter. 21, P. 152.

كذلك ينظر:

Bezold, The TELL - EL Amarna..., Op. Cit, P. 11 - 39, Drower, M. S., CAH, Vol. 1, P. 484.

ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج٥، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٢١.

مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب: توفيق سلمان، دمشق، ١٩٦٧، ص٢٠٥.

(٤٣) الزيباري، اكرم، العلاقات بين أقطار الشرق...، مصدر سابق، ص١٣٥.

(44) EA, Vol. 1, Letter. 11, P. 96.

(45) Drower, M. S., CAH, Vol. 1, Pt. 1, P. 485.

(46) EA, Vol. 1, Letter. 17, P. 130.

كذلك ينظر:

Bezold, The TEll - El Amarna..., Op. Cit, P. XI.